الليث بن سعد
وعلاقته بعلماء الحجاز



د. سليمان عبدالغني مالكي

اسمه ونسبه :

الليث بن سعد بن عبدالرحمن القهمي ـ بفتح القاف وسكون الهاء ـ وقهم بطن من قيس عيلان ينتهي نسبهم إلى عدنان ، ويكنى أبا الحارث .

وقيل أصله من الفرس من أصبهان ، وهو مولى قريش ، وإنما افترضوا في قهم فنسب إليهم[1] .

وقد اختلفت كتب التاريخ والتراجم في نسب الليث ، فبينما تؤكد بعض المصادر نسبته إلى أصبهان أثبت بعضها الآخر أصالته العربية ونسبته إلى قبيله قهم بن عمرو بن قيس عيلان ، وهذا ما أكده الأديب أحمد القلقشندي في كتابه صبح الأعشى وما أكده ابن يونس في تاريخه .

يقول القلقشندي في صدد حديثه عن بلده قلقشندة : «ومن بلادنا قلقشندة ، وهي بلدة حسنة المناظر غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليث . . . وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، وليس لما يقولون ثبات عندنا»[2] .

وهكذا يرجح القلقشندي ماذهب إليه ابن يونس من الحكم بعربيته بأنه أثبت عنده .

وعلى الرغم من أن ابن خلكان ذكر أن الليث بن سعد أصبهاني ، فإنه عاد وقال : «ويقال إنه من قلقشندة ، والذي ذكره ابن يونس بن عبد الأعلى في تاريخه أنه ولد بقلقشندة ، وهو أقصد بذلك وأعرف وأقدم»[3] .

ومن زعم أن الليث فارسي الأصل فليس ذلك عاراً ، وإنما يفخر الناس بإيمانهم وعلمهم وتقواهم لا بأنسابهم ، ويكفي حديث الرسول ﷺ في أهل فارس : «ولو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس» .

ويحتج على من زعم أن أصله فارسي[٤] أن كتب التراجم والأخبار والتاريخ لم تشر إلى إلمام الليث بن سعد باللغة الفارسية ــ كغيره من العلماء الذين هم من أصل فارسي ــ فلو كان كذلك لأقبل الليث على تلك اللغة باعتبارها لغة آبائه وأجداده .

كما لم تنقل المصادر في أثناء رحلات الليث وتنقلاته العلمية وغيرها أنه رحل إلى أصبهان موطنه الأصلي للتعرف عليه أو نحو ذلك .

والذي يرجحه الباحث أن الليث بن سعد عربي فهمي .

مولــده :

وكما اختلفت الروايات في تحديد نسب الليث بن سعد فإنها اختلفت أيضاً في تحديد سنة ميلاده ، وتراوح المدى الزمني لسنة ميلاده مابين سنة ٩٢هـ ، وسنة ٩٤هـ ، فمن قائل إنه سمع الليث يقول : «ولدت في شعبان سنة أربع وتسعين» ومن قائل إن ابنه شعيبا قال : «كان أبي يقول لنا : يقول بعض أهلي : إني ولدت في شعبان سنة اثنتين وتسعين ، وأما الذي أوثقه أربع وتسعون»[٥] .

وعلى ذلك وبناء على قول الليث نفسه ، فإن المرجح أنه ولد سنة ٩٤هـ .

واتفق المؤرخون على أن الليث ولد ببلدة قلقشندة ، بفتح القاف ، وسكون اللام ، وفتح القاف الثانية والشين المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، وبعدها هاء ساكنة[٦] ، وذلك كما ضبطها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، وكما ضبطها ابن خلكان ، وخلافاً لما جرى على ألسنة العامة أنها «قرقشندة» ، كما ذكر ياقوت في معجمه»[٧] .

وقلقشندة هي إحدى قرى محافظة القليوبية[٨] .

وفي هذه القرية المتواضعة من ريف مصر ولد الليث بن سعد ، وترعرع فيها ، وأخذ يتعلم على الصورة المألوفة والمتبعة في عصره .

نشأته وطلبه للعلم :

نشأ الليث في بيت علم وصلاح ، وتلقى علومه في سن مبكرة ، حيث بدأ بحفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى بعض علوم القرآن ثم درس الحديث والفقه وبعض علوم العربية ، شأنه شأن أقرانه من العلماء ، وقد اشتهر منذ شبابه بالتدين ، وبدت نجابته في سن مبكرة يدعم ذلك مارواه جميل بن زيد مولى شرحبيل بن حسنة إذ يقول : أدركت الناس أيام هشام وكان الليث بن سعد حدث السن ، وكان بمصر عبيدالله بن جعفر ، وجعفر بن ربيعة ، والحارث بن يزيد ، ويزيد بن أبي حبيب ، وابن هبيرة وغيرهم من أهل مصر ، ومن يقدم علينا من فقهاء المدينة ، وإنهم ليعرفون لليث فضله وورعه وحسن إسلامه على حداثة سنه[9] .

وحدث عبد الملك بن عمر الرزاز ، قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ قال حدثني أبو طالب الحافظ قال: حدثنا هشام بن يونس قال: حدثنا أبو صالح . قال: قال لي الليث بن سعد ــ ونحن ببغداد ــ سل عن قطيعة بني حداد ، فإذا أرشدت إليها فسل عن منزل هشيم الواسطي ، فقل له: أخوك الليث المصري يقرئك السلام، ويسألك أن تبعث إليه شيئاً من كتبك ، فلقيت هشيماً فدفع إلى شيئاً ، فكتبنا منه وسمعتها مع الليث[10] .

كما أخذ عن كثير من أعيان عصره ، كالإمام الزهري حيث يقول: كتبت من علم ابن شهاب علماً كثيراً ، وطلب ركوب البريد إليه إلى الرصافة فخفت ألاَّ يكون ذلك لله تعالى فتركت ذلك[11] .

فهذه الحادثة تدل على ورع الليث وتقواه ومخافته الله في طلبه للعلم ، حيث طلبه لوجه الله خالصاً ، وإن شك أن أمراً يصرفه عن طلب العلم لله تركه .

واستمر الإمام في طلبه للعلم حتى كبرت سنه فقد سمع من علماء العراق حين رحل إليها وسنه آنذاك سبعة وستون عاماً ، وبقي على ذلك إلى نهاية حياته حتى مهر في معظم الفنون كالحديث والفقه والتاريخ .

رحلاته العلمية :

لم يكتف الليث بن سعد بما تلقاه من علماء مصر بل ارتحل إلى عدد من أمصار العالم الإسلامي لطلب العلم ، فارتحل إلى الحجاز ، ثم إلى العراق ، وأخذ عن علمائها ، ويظهر أن الرحلة في طلب العلم في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، كانت تتجه أول ماتتجه إلى الحجاز بعامة ، وذلك لعدة أسباب ودوافع منها :

١ ـ أرض الحجاز هي مهد النبوة ومهبط الرسالة .

٢ ـ وجود مكة المكرمة والمدينة المنورة بأرض الحجاز حيث شهدتا فجر التشريع الإسلامي ، وحظيتا في تاريخه بمرحلة لم يحظ بها مصر من الأمصار .

٣ ـ حياة معظم الصحابة رضوان الله عليهم بهاتين المدينتين المقدستين .

٤ ـ التعلق الروحي للصحابة والتابعين بمكة والمدينة باعتبارهما الميدان الأول لتطبيق الشريعة ، وحنين الناس وشوقهم إلى الربوع التي حوت بين جنباتها سيد البشر وصحابته الكرام في أثناء تطبيقهم لشريعة الله .

٥ ـ كثرة العلماء المجاورين بمكة والمدينة ، وازدحام الحرمين المكي والنبوي بالحلقات والدروس العلمية والمدارس .

هذه الأسباب وغيرها كانت أهم دوافع الرحلة العلمية إلى الحجاز ، فقد ارتحل الليث إلى مكة سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره نحو عشرين عاماً لأداء فريضة الحج ، وخلال إقامته بمكة سمع من علمائها الحديث حيث أخذ عن شهاب الدين محمد بن مسلم الزهري إمام عصره في الحديث ، وأخذ عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه ، وعن يحيي بن سعيد الأنصاري وعطاء بن أبي رباح وهشام بن عروة وعبدالله بن أبي مليكة وقتادة وغيرهم وكان الليث حريصاً على طلب العلم خلال رحلته تلك مقدراً للعلماء من المحدثين والفقهاء محاولاً الاستفادة منهم وحفظ آرائهم ومناقشتهم .

ولما كان الليث بمكة كسفت الشمس بعد العصر ، وكان بها يومئذ ابن شهاب وأيوب بن موسى وعطاء بن أبي رباح وأبو الزناد وعمرو بن دينار وابن أبي الحسين النوفلي وابن أبي مليكة وأبو بكر بن حزم وعمرو بن شعيب وقتادة وغيرهم فقاموا قياماً يدعون ، قال الليث : فقلت لأيوب بن موسى مالهم لايصلون ، وقد صلى النبي ﷺ ؟ قال لأن النهي قد جاء في الصلاة بعد

العصر ، فلذلك لايصلون ، والنهي يقطع الأمر[١٢].

كما رحل الإمام المصري إلى العراق سنة إحدى وستين ومائة وأخذ عن علمائه أمثال هشيم بن بشر بن أبي حازم الواسطي ، محدث عصره ، وكان أصغر سناً من الإمام الليث ، وسمع من بريد بن أبي مريم وغيرهم كما روى عنه بعض شيوخه وأقرانه مثل هشيم وعبدالله بن المبارك وعطاف بن خالد وغيرهم .

كما روى عنه عدد كبير من شيوخ الإمام البخاري وشيوخ الإمام مسلم والإمام أحمد بن حنبل وأبي داود وغيرهم .

وذلك مما يدل على علو منزلته في علم الحديث بخاصة وفي سائر العلوم بعامة[١٣].

مكانته العلمية :

تبوأ الليث مكانة عالية بين أئمة عصره من المحدثين والفقهاء وذلك لشدة فطنته وذكائه ، فقد اجتمع له علم الحديث والفقه ، وعلم الناس فقه الحديث ، وكثيراً ماكان يقول لأصحابه «تعلموا الحلم قبل العلم» .

ونظراً لعلو مكانته ومرتبته التقى به معظم فقهاء عصره ، معلمين ومناظرين ، وذلك في أثناء رحلاته العلمية العديدة .

سئل أبو زرعة الرازي الحافظ عن حديث الإمام الليث بن سعد أيحتج به ؟ قال إى لعمرى .

وقال يحيى بن معين: ثبت ، وقال يعقوب بن شيبة : ثقة .

ومما يدل على غزارة علمه ودقيق استنباطه وعمق إدراكه ماحدث مع أمير المؤمنين هارون الرشيد حيث حلف أن له جنتين ، واستفتى العلماء فلم يجبه أحد حتى سأل الليث بن سعد ، يقول أبو الحسن الخادم : كنت غلاماً لزبيدة وأتى يوماً بالليث بن سعد فكنت واقفاً على رأس زبيدة خلف الستارة فسأل هارون الرشيد فقال: حلفت أن لي جنتين ؟ فاستحلفه الليث ثلاثاً أنك تخاف الله فحلف له ، فقال الليث قال الله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان» قال: فسر هارون وصفقت زبيدة من خلف الستارة وأقطعه قطائع كثيرة بمصر[١٤].

وتكلم الليث بن سعد في مسألة ، فقال له رجل : ياأبا الحارث في كتابك غير هذا ، قال في كتابي أو في كتبنا ، ماإذا مربنا ، هذيناه بعقولنا وألسنتنا .

جوده وكرمه :

كان الليث من الكرماء الأجواد ، ولا يستطيع أي باحث أن يتكلم عن الليث دون أن يعرج على ذكر سخائه وجوده لشهرته بذلك وكان شعاره : «أحسن كما أحسن الله إليك ولا تنس نصيبك من الدنيا» ولحسن فهمه لهذه الآية الكريمة تمتع بالحلال من الطيبات وأمتع الآخرين [١٥].

جاءت امرأة بسكرجة إلى الليث بن سعد فطلبت منه فيها عسلاً ــ لمريض لها ــ قال فأمر من يحمل معها زقاً من عسل . فجعلت المرأة تأبى ، وجعل الليث يأبى إلا أن يحمل معها زقاً من عسل ، وقال نعطيك على قدرنا ــ أو على ماعندنا[١٦].

ويقول ابن الليث بن سعد: خرجت مع أبي حاجا فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب ، قال فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه[١٧].

ونظراً لشهرة الليث بالغنى والثراء كان مقصداً لذوي الحاجة ، فلم يكن شحيحاً على الناس ، كذلك لم يكن شديد الإيثار بالمال لنفسه وأهله وإنما كان يرى أن المال في يده وديعة وأن للناس فيه حقاً بل كل الحق حتى قيل إنه كان يفرقه جميعه على الفقراء وذلك مارواه ولده شعيب قال سمعت أبي يقول: «ماوجبت على زكاة قط منذ بلغت»[١٨].

وكان دخله في العام يتراوح من عشرين ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار . إذاً طابع الليث يتلخص في كلمتين: «السخاء والوفاء» .

وحدث أبو رجاء قتيبة بن سعيد قال: قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية وكان معه ثلاث سفائن ، سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه ، وكان رحمه الله لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس[١٩].

ثناء العلماء عليه :

أثنى على الإمام الليث بن سعد كثير من العلماء منهم :

ابن جان في الثقات قال: كان من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً وسخاء[٣] .

وقال يحيى بن بكير: مارأيت أحداً أكمل من الليث ، كان فقيه النفس ، عربي اللسان ، يحسن القرآن ، والنحو ، ويحفظ الحديث ، والشعر ، حسن المذاكرة[٢٠].

وقال أبو يعلى الخليلي : كان إمام وقته بلا مدافعة[٢١] .

كما أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل حيث قال : الليث كثير العلم صحيح الحديث ، ومافي هؤلاء المصريين أثبت من الليث[٢٢].

وقال ابن وهب : لولا مالك والليث لضل الناس[٢٣].

وقال يحيى بن معين : الليث بن سعد وحيوة وسعيد بن أبي أيوب ثقات[٢٤].

وقال ابن بكير حدثني شعيب بن الليث عن أبيه فقال: لما ودعت أبا جعفر ــ صاحب بيت المقدس ــ قال أعجبني مارأيت من شدة عقلك . والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك . قال شعيب وكان أبي يقول: لا تخبروا بهذا مادمت حياً[٢٥].

وقال الشافعي : كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه .

وقال يحيى بن بكير : الليث أفقه من مالك لكن الحظوى لمالك[٢٦] .

وفاتـــه :

توفى الليث بن سعد إلى رحمة الله يوم الخميس وقيل الجمعة ــ منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة بمصر ودفن في القرافة الصغرى .

وقال بعض أصحابه : لما دفنا الليث بن سعد سمعنا صوتاً يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريبا وقبر

قال فالتفتنا فلم نر أحداً .

وقال محمد بن عبدالرحمن : كنت جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته وأنا مع أبي ، فما

رأيت جنازه أعظم منها ولا أكثر من أهلها ، ورأيت كلهم عليهم الحزن والناس يعزى بعضهم بعضاً ، ويبكون ، فقلت لأبي : ياأبت ، كل واحد من الناس صاحب الجنازة ، فقال لي : يابني كان عالماً سعيداً كريماً حسن الفعل كثير الأفضال يابني لاترى مثله أبداً(٢٧).

علماء الحجاز الذين أخذ عنهم الليث وتأثر بهم :

شهد عصر الليث بن سعد حركة علمية واسعة ،ولكن هذه الحركة لم تثبت قواعدها تماماً وتنتظم أصولها ، بل ظل علماء هذه الفترة يتأثرون ويؤثرون ، والليث بن سعد تأثر به خلق كثير من جميع الأقطار ، وتأثر بدوره بعلماء متعددين معظمهم من علماء وفقهاء الحجاز ، وذلك لانتشار الحلقات العلمية ومجاورة العلماء للأراضي المقدسة ، وانتشارهم بالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ومن أبرز علماء الحجاز الذين تأثر بهم الليث بن سعد :

١) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم ، أحد القراء السبعة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة(٢٨).

أخذ الليث بن سعد قراءة القرآن الكريم عن نافع بن عبدالرحمن وذلك لأن نافعاً أخذ قراءته عن التابعين من أهل المدينة الذين تلقوها عن الصحابة الذين شهدوا العرضة الأخيرة التي لحق بعدها الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى فقراءتهم إذن تمثل آ. المراحل التي انتهى إليها الوحي القرآني موصول الأسباب بالسماء ، لهذا أدرك الليث أن المدينة المنورة مهاجر النبي ﷺ وفيها نزلت معظم آيات الأحكام ، وفيها عرض الرسول على جبريل العرضة الأخيرة ، وهي التي بين له فيها الناسخ من المنسوخ ، ومكان الوقف عند كل آية . . والقراءة سنة متبعة ، الأصل فيها التلقى ، ولا يكفي فيها السماع كما هو الشأن في السنن والآثار ، فقراءة أهل المدينة لهذا كله – فيما يرى الليث أثبت القراءات وأدقها أداء لاتصال سندها بالرسول ﷺ وهم قوم لم تخالطهم عجمه ، ولم يسر إلى ألسنتهم فساد في أداء اللغة لذلك فهم أقدر الناس على أداء ماتلقوا وسمعوا(٢٩).

ويؤكد ذلك مانقله الخطيب البغدادي في كتابه : «كان الليث إذا حضرته الصلاة ــ وهو في المركب ــ يخرج إلى الشط فيصلي ، وكان ابنه شعيب أمامه ، فخرج لصلاة المغرب فقال ابن شعيب ؟ فقالوا حم ، فقام الليث فأذَّن وأقام ، ثم تقدم فقرأ (والشمس وضحاها) فقرأ (فلا تخاف عقباها) بالتاء ، وكذلك في مصاحف أهل المدينة يقولون هذا غلط من الكاتب عند أهل العراق وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»(٣٠).

فعن أحد كبار القراء في المدينة أن الليث أخذ عنه قراءة القرآن الكريم كما أخذ عن بعض علمائها الآخرين د وذلك لامتيازها بكثرة العلماء واستبحار علمائها ، وامتياز فقهائها بعلم الأثر .

كما أخذ علم الحديث والفقه عن عدد كبير من العلماء ، وكان النصيب الأوفر في ذلك لعلماء الحجاز ، حيث كانت الفتوى بعد رسول الله ﷺ في عصر الصحابة لحملة القرآن ، الذين كتبوه وقرأوه ، وفهموا وجوه دلالته ، وناسخه ومنسوخه ، ثم كان عصر التابعين حيث ظهر عدد من التابعين عرفوا بالفقهاء ، وأشهرهم فقهاء المدينة السبعة وذلك ليفتوا الناس في أمور دينهم ودنياهم ، إضافة إلى وجود عدد منهم في سائر الأمصار : كعطاء في مكة ، وطاووس في اليمن ، ومكحول في الشام ، والحسن في البصرة ، وإبراهيم النخعي في الكوفة .

وفي العصر العباسي تمكن الاستنباط واستقرت أصوله ، وأصبحت كلمة «فقه» تدل على الأحكام الشرعية العلمية المستنبطة من الأدلة التفصيلية .

وانقسم الفقه إلى طريقتين :

١ ــ طريقة أهل الرأي ــ وهم أهل العراق .

٢ ــ طريقة أهل الحديث ــ وهم أهل الحجاز .

وتأثر الليث بطريقة أهل الحجاز ، بالاعتماد على النقل وإعمال العقل في الفهم والاستنباط والتطبيق ، وذلك لكثرة روايته وحفظه لأحاديث رسول الله ﷺ ، فقد كان الليث إلى جانب عمقه في علم الحديث الشريف أستاذاً في الفقه قادراً على استنباط الأحكام من الأدلة معتمداً على الآثار الواردة عن سيد المرسلين .

ومن تأثر بهم من علماء الحجاز في الحديث والفقه :

١ ــ مالك بن أنس ــ إمام دار الهجرة ــ فقد كان الإمام مالك معاصراً للإمام الليث ــ ومالك فقيه محدث صاحب سنة وأثر وإمام مجتهد له مكانته العليا بين علماء عصره ، وكذلك كانت حال الإمام الليث .

ويروى صاحب الفهرس أن الليث بن سعد كان من أصحاب الإمام مالك أولاً ، ثم اختار لنفسه ، وكان يكاتب مالكاً ويسأله»[٣١].

والواقع أن الليث لم يكن تلميذاً للإمام مالك ، بل من أقرانه وإن تأثر الليث ببعض أقواله ، كما أنه رد على الإمام مالك في الرسائل المتبادلة بينهما ، وخالفه في كثير مما يقول ، وإنما وقعت المفاضلة بين الليث ومالك دون غيره من الفقهاء لأن الليث معدود من أصحاب الحديث ، والإمام مالك يعتبر زعيم أصحاب الحديث .

وقد تأثر الليث وحكم بالأحكام نفسها التي حكم بها الإمام مالك ، مثل وجوب قتل المرتد ، حيث قال به مالك والليث ، ولمس المرأة الأجنبية بشهوة يحرمها ويحرم بنتها ، فتوافق قول مالك والليث ، وأن الجمع بين الصلاتين جائز لمن جد به السير أما من لم يجد به السير فلا يجوز أو هو القول المشهور عن مالك وبه قال الليث .

ويبقى أن نشير إلى أهمية الرسائل المتبادلة بين الإمام أبي الحارث الليث بن سعد وإمام دار الهجرة مالك بن أنس التي اتسمت بالأدب والمودة ، والاحترام والإجلال للعلماء ، وذلك يدل على صفاء نفس كل من العالمين الجليلين ، وكرم أخلاقهما ، إضافة إلى إثرائهما الفقه الإسلامي بمسائل وقضايا هامة ومفيدة أبانت وجهة نظر كل واحد منهما .

٢ ــ محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري القرشي المدني أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام ، كان ثقة ، كثير الحديث والعلم والرواية ، فقيهاً جامعاً ، إليه أسند تدوين السنة النبوية .

قال أبو الزناد ــ وهو أحد شيوخ الليث ــ «كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كلَّ ما سمع ، فلمّا احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس» .

روى الليث بن سعد قال الزهري «مانشر أحد من الناس هذا العلم نشري ، ولا بذله بذلي»(٣٢) .

وأخذ عن الزهري خلق كثير من أفاضل العلماء ، كان من بينهم إمامنا الليث بن سعد ، واعترض عليه ، وجادله في بعض الأمور ، لكنه تأثر به وقال ببعض آرائه ومن ذلك :

أن الحر والعبد يستويان في حد القذف ، خلافاً لكثير من الفقهاء ، فقال الليث بهذا الرأي أيضاً .

وأن الذبح لايطهر حلبة الميتة ، ولكن يصح الانتفاع به في الأشياء اليابسة ، ولا يؤكل منه ، وهو اختيار الزهري والليث .

كما قال إن الدم والقيح ينقض الوضوء ، موافقاً للزهري بقوله .

والأمثلة كثيرة على ذلك في كتب الفقه والأحكام .

٣ ــ نافع مولى ابن عمر ، أبو عبدالله المدني من كبار الفقهاء في المدينة روى عن عدد كبير من الصحابة ، وروى عنه خلق كثير منهم إمامنا الليث . كان ثقة كثير الحديث ، وقال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر .

وهو من أئمة التابعين بالمدينة ، وإمام في العلم ، متفق عليه ، صحيح الرواية(٣٣) . أخذ عنه الليث في أثناء رحلاته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وتأثر به .

٤ ــ يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة بن الحارث الأنصاري البخاري المدني ، أبو سعيد .

كان حجة ثبتا ، كثير الحديث ، روى عنه عدد من شيوخه وأقرانه .

قال سعيد بن عبدالرحمن الجمحي مارأيت أقرب شبهاً بالزهري من يحيى بن سعيد ولولاهما لذهب كثير من السنن .

وقال عنه الليث بن سعد : لم يكن دون أفاضل العلماء في زمانه .

وهذه شهادة من الليث لشيخه وأستاذه لوده له وحبه إياه وإجلاله وتقديره للعلماء .

وعده ابن عيينة من محدثي الحجاز الذين يجيئون بالحديث على وجهه .

وقال الليث بن سعد : إن أول ما أتى يحيى بن سعيد بكتب علمه فعرضت عليه استنكر كثرته ، لأنه لم يكتب له كتاب ، فكان يجحده ، حتى قيل له نعرض عليك فما عرفت أجزته ومالم تعرف رددته ، قال الليث فعرفه كله[٣٤] .

وهذا يدلنا على سعة علمه ودقة ضبطه وحفظه .

٥ ــ عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري ، البخاري ، وهو أخو يحيى بن سعيد روى عنه الليث وأخذ عنه وهو من أقرانه .

كان ثقة مأمونا كما أخبر ابن معين ، صحيح الحديث يحتج بقوله ، وهو دون أخيه يحيى بن سعيد[٣٥] .

٦ ــ ربيعة ابن أبي عبدالرحمن فروخ التيمي المدني ، أبو عثمان ، المعروف بربيعة الرأي ، أحد مفتي المدينة .

كان ثقه ثبتا حافظاً إماماً ، أدرك بعض الصحابة والأكابر من التابعين ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة المنورة ، وكان يجلس إليه وجوه الناس بالمدينة ، منهم أربعون معتماً (عالماً) في مجلسه للتدريس ، وعنه أخذ الإمام مالك بن أنس .

قال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد ما رأيت أفطن منه .

وقال الليث عن عبيد الله بن عمر: «هو صاحب معضلاتنا ، وأعلمنا وأفضلنا» أي إذا حلت بهم مشكلة ولم يستطيعوا حلها ، توجهوا إلى ربيعة ليحلها .

وكان من أحفظ الناس لسنة رسول الله ﷺ ، ويذكر الواقدي أنه كان كثير الحديث ثقة[٣٦] .

وأخذ الليث عنه أثناء رحلته إلى الحجاز ، وحدث عنه ، وتوافقت فتاويهما من ذلك :

أن طلاق السكران لايقع ، خلافاً لبعض الفقهاء ، وتوافق بذلك ربيعة والليث .
أن النية شرط للطهارة ، وافق الليث ربيعة في رأيه .

٧ ــ هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو المنذر ، وقيل أبو عبدالله والده أحد

الفقهاء السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه وعمه عبدالله بن الزبير ، وغيرهم من الصحابة والتابعين .

أخذ عنه عدد كبير من العلماء منهم عدد من مشايخ الليث ، كما سمع الليث منه أيضاً .

كان إمام وقته ، حجة كثير الحديث ، ثبتا متقناً ، ورعاً فاضلاً ، حافظاً لأحاديث رسول الله ﷺ ، مطبقاً لأحكامها .

رأى ابن عمر ومسح رأسه ودعا له .

٨ ـ عمرو بن دينار المكي

أحد الأعلام المشهورين ، روى عن عدد كبير من الصحابة ، أخذ عنه عدد من أقرانه غيرهم .

عن سفيان: قلت لمسعر من رأيت أشد إتقاناً للحديث ، قال : عمرو بن دينار .

قال ابن عيينة ، كان مفتي أهل مكة في زمانه ، ثقة ، ثبتا ، كثير الحديث ، صدوقاً عالماً .

قال عنه الزهري : مارأيت شيخاً أقص للحديث الجيد من هذا الشيخ[٣٧] أخذ عنه الليث في أثناء قدومه إلى مكة للحج وتأثر به .

٩ ـ عطاء بن أبي رباح ، المكي .

من كبار التابعين ، أدرك مائتين من الصحابة ، رضوان الله عليهم كان ثقة فقيهاً ، عالماً ، كثير الحديث .

انتهت إليه فتوى أهل مكة[٣٨] .

أخذ عنه الليث أثناء رحلته إلى مكة وأفتى ببعض فتاويه من ذلك :

تحريم بيع شحوم الميتة .

أن الدم والقيح ينقض الوضوء .

وعطاء أحد أئمة الأمصار المشهورين المعدودين ، لذلك أخذ عنه الليث ، وقال ببعض فتاويه .

١٠ ــ عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان ، المكي ، أدرك ثمانين نفساً من صحابة رسول الله ﷺ ، وأخذ عنهم ، وأخذ عنه عدد من أقرانه وعلماء عصره .

تولى القضاء لابن الزبير .

كان ثقة ، كثير الحديث ، ثبتا ، حافظاً لسنة رسول الله ﷺ[٣٩] .

أخذ عنه الليث في أثناء زيارته للحجاز .

١١ ــ سعيد بن أبي سعيد كيسان المقرىء المدني .

روى عنه عدد من الصحابة أمثال أبي هريرة ومعاوية وأنس بن مالك وعبدالله بن عمر والسيدة عائشة وأم سلمة وغيرهم ، عالم جليل ثقة .

قال خراش : «ثقة جليل ، أثبت الناس فيه الليث بن سعد» .

وذلك لكثرة ملازمة الليث له والرواية عنه[٤٠] .

١٢ ــ أبو الزبير محمد بن مسلم المكي الحافظ مولى حكيم بن حزام .

هو من أئمة العلم ، اعتمده الإمام مسلم في صحيحه وخرج له كان ثقة ثبتا ، وأقوى طرقه في الرواية طريق الليث وذلك لما يروى سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا الليث قال: جئت أبا الزبير فدفع إلى كتابين فانقلبت بهما ، ثم قلت في نفسي : لو أنني عاودته فسألته ، أسمع هذا كله من جابر ؟ فسألته ، فقال: منه ماسمعت ، ومنه ماحدثت عنه ، فقلت له أعلم لي ماسمعته منه فأعلم لي على هذا الذي عندي[٤١] .

روى عن العبادلة الأربعة وعن السيدة عائشة ، وأكابر التابعين .

روى عنه بعض مشايخه أمثال عطاء والزهري .

كان من أكمل الناس عقلاً وأحفظهم ، صدوقاً ، ثبتا[٤٢] .

١٣ ــ عبدالله بن ذكران القرشي المدني . أبو الزناد .

قال ابن المدني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم منه ، ومن ابن شهاب ، ويحيى بن سعيد ، وبكير بن الأشبح .

وقال العجلي تابعي ثقة حجة .

وقال الليث عن عبد ربه بن سعيد : رأيت أبا الزناد ودخل مسجد النبي ﷺ ومعه من الأتباع مثل مامع السلطان .

قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، فصيحاً بصيراً بالعربية ، عالماً عاقلاً . وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث(٤٣).

أخذ عنه أثناء رحلته إلى الحجاز ، وقال ببعض فتاويه مثل: وجوب العقيقة عن المولود ، حيث قال بها الليث أيضاً(٤٤).

١٤ ــ بكير بن عبدالله بن الأشبح المدني ، أبو عبدالله .

محدث ثقة ، ثبت ، أخذ عن كبار التابعين في المدينة .

قال ابن حبان في الثقات : إنه من أتباع التابعين من صلحاء الناس ، وكان من خيار أهل المدينة(٤٥) .

ونزل بكير مصر وسكن بها ، ويرجح أن الإمام الليث أخذ عن بكير في مصر .

١٥ ــ كثير بن فرقد المدني .

روى عن عدد من الصحابة ، أخذ عنه الليث وهو من أقرانه .

قال عنه ابن معين ثقة ثبت(٤٦).

وسكن كثيراً بمصر ويرجح أن الليث أخذ بها عنه .

١٦ ــ عمران بن أبي أنس القرشي العامري المدني .

روى عن عدد من صحابة رسول الله ﷺ ، وخلق من التابعين ، وتابعي التابعين .

قال العجلي : مدني ثقة .

سمع منه عدد كبير من مشاهير العلماء ، وسمع منه الليث بالمدينة(٤٧).

ونزل عمران الإسكندرية ، وتوفى بالمدينة .

١٧ ــ أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية المكي ، أبو موسى .

روى عنه عدد من العلماء ، وعدد من أقرانه منهم إمامنا الليث بن سعد[٤٨].

١٨ ــ عمر بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي أبو عبدالله المدني .

قال عنه ابن معين : ثقة .

روى عنه عدد من أقرانه ومنهم الليث بن سعد[٤٩].

وبعد فهذا قسم من مشايخ الإمام الليث بن سعد الذي جمع بين الحديث والفقه ، وتأثر بمدرسة المدينة ومدرسة الكوفة ، ويبدو واضحاً ميله إلى مدرسة المدينة المعتمدة في أحكامها واستنباطاتها على حديث رسول الله ﷺ ، وذلك باختياره الكثير والعديد من مشاهير وأكابر علماء الحجاز الذين يميلون إلى هذه المدرسة .

«لو وجدت مؤلفات الليث التي دونها وذكر فيها آراءه لوجدناها مطابقة لأقوال وفتاوى أهل الحجاز ، ولكن للأسف لم يصل إلينا من مؤلفاته سوى رسائله مع الإمام مالك ، وكتابه لنافع المقرىء .

ويبقى أمامنا قول الإمام الشافعي رحمه الله عليه : «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه ضيعوه» .

وذلك لعدم تدوينهم آراءه وأقضيته وفتاويه ، كما فعل غيرهم من الطلاب والتلاميذ بأئمتهم .

* * *

الهوامش :

١) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب جـ٨ ص٤٥٩ .
٢) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٣ ص٤٠٣ .
٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٤ ص١٢٨ .

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٥ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ٣ ص٥٨ .

وانظر تفصيل الخلاف في نسب الليث بن سعد في ابن حجر: الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية ص٢ ـ ٣ .

(٥) انظر البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٦ .
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٣ ص٤٠٣ .
(٧) ياقوت: معجم البلدان ـ مادة قرقشندة .
(٨) سحر رمزي: القاموس الجغرافي ق٣ ، جـ١ ، ص ٨٩
(٩) البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٥ .
(١٠) نفس المصدر جـ١٣ ص٤ .
(١١) نفس المصدر جـ١٣ ص٥ ، وانظر أيضاً ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص١٢٩
(١٢) ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى جـ٣ ص١٤٧ ـ ١٤٨ .
(١٣) لمزيد من التفصيل انظر السيد أحمد خليل: الليث بن سعد ص١٤٢ ، ومابعدها .
(١٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص١٢٩
(١٥) عبدالرحمن الشرقاوي: أئمة الفقه التسعة ص١٠٦ .
(١٦) البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٨ .
(١٧) نفس المصدر: جـ١٣ ص٩ .
(١٨) ابن الجوزي: صفوة الصفوة جـ٤ ص٢٨٥ ، البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٨ .
(١٩) أبو نعيم: حلية الأولياء جـ٧ ص٣١٩ ـ ٣٢١ .
(٢٠) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ٨ ص٤٦٤ .
(٢١) ابن العماد: شذرات الذهب جـ١ ص٢٨٥ .
(٢٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ٨ ص٤٦٥ .
(٢٣) نفس المصدر جـ٨ ص٤٦٠ .
(٢٤) البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٧ .
(٢٥) نفس المصدر جـ١٣ ص١٠ .
(٢٦) ابن العماد: شذرات الذهب جـ١ ص٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، الذهبي: العبر جـ١ ص٤٦٦ .
(٢٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص١٣٢
(٢٨) ابن الجزري: طبقات القراء جـ٢ ص٣٣٠ ـ ٣٣٤ .
(٢٩) السيد أحمد خليل: الليث بن سعد ص١٢٠ ـ ١٢١ .
(٣٠) البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص١٠ .
(٣١) ابن النديم: الفهرست ص٢٨١ .
(٣٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ١ ص٤٤٥ ـ ٤٥٠ .
(٣٣) المصدر السابق جـ١٠ ص٤١١ ـ ٤١٥ .
(٣٤) نفس المصدر جـ١١ ص٢٢١ ـ ٢٢٣ .
(٣٥) نفس المصدر جـ٦ ص١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٣٦) ابن حجر: تهذيب التهذيب: جـ٣ ص٢٥٨ ـ ٢٥٩
(٣٧) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ٨ ص٢٩ ـ ٣٠ .
(٣٨) نفس المصدر جـ٨ ص١٩٩ ـ ٢٠٢ .
(٣٩) نفس المصدر جـ٥ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ .
(٤٠) نفس المصدر جـ٤ ص٣٨ ـ ٣٩ .
(٤١) الذهبي: ميزان الاعتدال جـ٤ ص٣٧ .
(٤٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب: جـ٦ ص٤٤٠ .
(٤٣) نفس المصدر جـ٥ ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٤٤) الرازي: آداب الشافعي ص٥٣ .
(٤٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ١ ص٤٩١ ـ ٤٩٣ .
(٤٦) نفس المصدر جـ٨ ص٤٣٤ .
(٤٧) نفس المصدر جـ٨ ص١٢٣ .
(٤٨) نفس المصدر جـ١ ص٤١٢ ـ ٤١٣ .
(٤٩) نفس المصدر جـ٨ ص٤٨ .